رسالة النقد

الأعماق للخميسى

للاستاذ يوسف الحطاب

لانريد إن نقول أن فن القصة القصيرة الذى ولدته ظروف معينة مرت بأوربا فن مستحدث فى أدبنا كشكل لون فنى جاءنا ضمن ألوان الثقافة الغربية ، ولكنا نريد أن نسجل ظاهرة غريبة هى أنه رغم الأزمة التى يعانيها هذا الفن هناك ، فإنا نجده هنا يلقى انتعاشا كبيرا عند أدبائنا الشيوخ والشبان على السواء . وليس لهذه الظاهرة من تعليل سوى أن هؤلاء الأدباء يمرون بالحالة التى ولدت هذا اللون من الفن بأوربا .

نسوق هذا الكلام بمناسبة كتاب (الأعماق) — آخر مجموعة من القصص القصير ظهرت لعبد الرحمن الخميسى وذلك حتى نتبين دوافعه إلى كتابة القصة وطريقته فى كتابتها وأسلوبه فيها وتحقيقه لها .

وكل من يقرأ هذه المجموعة يدرك أنها سجل تجارب مؤلفها فى الفن . فالقصة الأولى قصة شاعرة وتتلوها قصة مؤلف موسيقى وقصة ممثل . ولا أدرى لماذا وقف الكاتب عند هذه الفنون ولم يتناول بقية الفنون الأخرى! أهو ارتباطها بالجو القصصى ؟ أم أن المؤلف لايريد إلا أن يصور التجارب التى مرت به والفنون التى عالجها ؟ .

ولعل مما يؤكد الرأى الأخير العنوان الذى اختاره لكتابه ليدل به على محاولته فى الاستبطان (Introspection) والوقوف عند تصوير الحالات النفسية للشخصيات التى يعرضها . وسنناقش هذه المسألة بعد أن نقول إنه لايقف عند رجال الفن ويترك سواهم من رجال المجتمع بل إنه ليتناولهم ومجتمعهم من خلال نظرته إلى الفن والفنانين .

أما الاستبطان فيحتاج إلى وقفة كبيرة يحسن أن نترك شيحها للمؤلف الذى يرى أن القصة جولة نفسية لاتتحقق الا إذا استحضر القصاص إلى خياله حالة شعورية لبطل القصة ينزلها الى وجدانه ويديرها فى أعصابه وذهنه . حتى لينقلب الكاتب الى شخص آخر .. وأن عليه بعد أن يخرج من ذاته . أن يصبح شخصين ولا يستطيع الكاتب الا أن يقف عند هذا التعريف لأن المؤلف ينقد نفسه ويحدد اتجاهه ، وهو اتجاه طيب اذا نظرنا إلى سيل القصص الذى أخذت المكتبة العربية تغص به ، لأن أصحابه لم يتحددوا بعد ولم يقفوا جـديا عند اللون الفنى الذى يتفق وامكانياتهم .

أما (الخميسى) فله شأن آخر : فهو حين بدأ حياته الفنية كان يصوغ تجاربه النفسية قصائد شعرية ، ولم يتزحزح عن موقفه فى كل ما كتب حتى اننا نستطيع أن نقول دون تحرز أن قصصه ذات طابع شعرى ، وأن القصاص فيه امتداد للشاعر القديم مع تغير الشكل الفنى — هذا الشكل الذى أمده به الأدب الأوربى الحديث والذى يبدو وعى المؤلف به واضحا حتى أنه حين يؤرخ المجموعة فى مقدمة الكتاب يروى هذا التاريخ بشكل قصصى بديع ، بل إنه فى أكثر قصصه يمهد لجو القصة بخلق راو لهـا يكسبها طابع الحكاية الفنية . ثم لايقف عند هذا بل انه يبدأ القصة من قمتها حتى يثير شوق القارىء إلى متابعته فى روايتها ، ويظل فى إثاراته للقارىء بأن يملأ القصة بالمواقف والعقد حتى ليقطع بالقارىء شوطا طويلا تنبهر فيه أنفاسه — ان لم تتقطع . ولكنه رغم ذلك يظل محتفظا بالقارىء إلى آخر الرواية دون أن يدعه يفلت من يده حتى يشهد له بأنه كامل السيطرة على طريقة أدائه للقصة . وهو إذ يصنع كل هذا لايصطنع الرواية كالكتاب الذين يفتعلون جو القصة حين يسيرون حسب قواعد البناء القصصى المحبوك ، بل لأن القصة تعيش فى نفسه وتعمل به دون هوادة إلى حد يدفعه إلى أن يظهر نفسه بأن يكتبها ويرويها لغيره . ولهذا نراه يبدأ الكثير من قصصه من النهاية حتى يعيش القارىء التجربة معايشته الزمنية لها فى اللحظة الصادقة التى يكتبها فيها . ولانريد أن نقول إن هذا أسلوب العصر الذى

نعيش فيه ونستشهد بالقصة السينمائية — آخر أشكال القصة الفنية، ولكننا نقول ان هذه هي الرواية وهذا هو فن الراوي الصحيح.

ويحق لنـــا وقد أبدينا اعجابنا ببدايات قصصه أن نتناول بالتحليل طريقة انهائه لها. وهنا نجده يجعل تلك النهايات في بعض القصص نهايات حاسمة ليس فيها فرجة يستطيع القارىء أن ينفذ خلالها. وهذه طريقة يخرج عليها في بعض القصص الأخرى ولا يسعنا إلا أن نشير عليه بضرورة استمراره في الطريقة السليمة التي تجعل القصة مفتوحة أمام القارىء بما تحمله من عناصر الرمز والإيحاء.

وتخلص من الشكل الفني للقصص إلى الجانب الموضوعي فيها فنجد أنه يخشى أن يفوت القارىء ماترمي إليه القصة من فكرة، ولذا نجد عنصر الفكر واضحا في قصصه حتى إنه يقول في المقدمة « كل ما أرجو هو أن أكون قريبا من جوهر الفن. من حقيقة الفكر .. وعندئذ تهون كل قرابين الحياة » ورغم أننا لانستطيع أن ننفي أن الأدب فيه جانب فكري فإن المؤلف لاينكر أن القصة موضوعها الحياة، والحياة أرحب من أن تضغطها فكرة.

وندع هذا كله لننتقل إلى مضمون القصص نفسه، ومعظمه يدور حول اليأس والانتحار والموت: فهذه « رسالة المنتحرة » و « رأيت بعد موتي » و « ليتني ما كنت » و « الموتى يتحكمون في الأحياء » الخ ... وهذا تشاؤم أملاه التزامه لجانب الفكر وطلبه لأعماق المجتمع الذي تتحرك فيه شخصياته. ومن هنا تراه يهتم بالواقع النفسي لهذا المجتمع ليصور من خلاله واقع الناس. وعالم الأعماق مهما كان الكاتب موضوعيـــا في تصويره فإنه لايستطيع إلا أن يقدم نماذج من الشخصيات القريبة الى نفسه، ولايستطيع إلا ان يلونها بألوان هذه النفس. ولكن المؤلف استطاع أن يخرج مع كل ذلك بأن ابتعد عن الرموز والغوامض التي تهوم في عالم الأعماق السحيق.

ويأتي بعد ذلك الأسلوب وهو أسلوب مشرق يغلب فيه ضمير المتكلم بحكم أن عالم الأعماق لغته الأنا ولابد معه من تقديم المونولوج الداخلي الذي تمتلىء به نفوس الشخصيات وتجـد ألا مندوحة لها عن الافضاء إلينا به. وهنا نجد المؤلف يصل إلى القمة التي يهدف إليها من تقديم هذا اللون النفسي من القصص.

وعبد الرحمن الخميسي الذي لم يقفز إلى عالم القصة طفرة كما قفز سواه — بل دخله دخولا طبيعيا: بعد أن عالج الشعر وأعاد صياغة بعض قصص الف ليلة، قد حقق بهذه المجموعة القصة الفنية كاحسن ماتكون القصة في المادة والشكل.

يوسف الخطيب

دنيا النـــاس

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

الأستاذ منصور جاب الله

حرص الأستاذ نقولا يوسف أن يثبت في ذيل كتابه «دنيا الناس» هذه العبارة التي نوردها بنصها وهي: « كل ما ورد في هذا الكتاب من أسماء الأماكن والأشخاص خيالي ولا يصف شخصية معينة بالذات. فنرجو المعذرة إذا وقع تشابه غير مقصود بين الأسماء أو الصفات أو الحوادث ».

وكان لا بدمن هـذه اللفتة من المؤلف، فقد جاء في المقدمة التي رضعها الأستاذ محمود تيمور بك لهذا الكتاب قوله «لا نرى صاحبنا — أي المؤلف — في كتابه هـذا يتابع لنا مناجياته العاطفية التي ألفناها من قبل في شعره المنثور ... فقد نزل إلى الشارع، وخالط خلق الله، وعاد إلينا في « دنيا الناس » يسجل استجابته النفسية لما رأى وما سمع، فتجلت مهارته في التقاط الصور، وانتزاع المشاهد، والتفطن إلى المواطن الاجتماعية التي تلين للغمز واللمز.

فالطابع الواقعي هوالذي يغلب على أقاصيص دنيا الناس، بل هو الذي يرين عليها جميعا، من قصته « شوكت المثال » إلى قصة « الباشا الأديب » وحسناً فعل الأستاذ نقولا يوسف بتوجيهه ذهن القارىء إلى أن الأسماء والأماكن كلها خيالية، وإلا لترك في تيه يخبط خبط عشواء وهو يبحث عن الأستاذ بهلول الأديب

« النائب » أو عنبر افندي الذي أفنى حياته في التدريس أو الاستاذ رمزي الشمرور !

وأكبر الظن أن الذي أعان الأستاذ نقولا يوسف على النجاح في أقاصيصه أمران : فهو مدرس استطاع أن يخالط شكولا من الناس وأعاطاً من الخلائق ، أما الأمر الآخر فإنه تنقل بين طائفة من الأقاليم في مصر ، فقد ولد في دمياط ودرج في المنصورة ثم [illegible] إلى [illegible] الأعلى [illegible] في الاسكندرية . فهذه الرحلات المتقاربة صقلت مواهبه ، وبصرته بالطبائع ، وعرفته غرائز الناس ومواطن القوة والضعف فيهم .

فالمؤلف حين يصف جلسة تحضير الأرواح في منزل « الأستاذ الدقدوسي » يتكلم عن علم ويشرح مشاهد رآها بنفسه ، وكذلك حين يصف « بابا خميس » إنما يصف رجالا نعرفهم بذواتهم ، يجمعون المال في مصر ثم ينفقونه على نزواتهم في أوربا

ولم يوفق الأستاذ المؤلف في سبك القصص فحسب وإنما تجلت براعته في الأسماء التي يضفيها على أبطاله إذ يتحدث عن « حسين الكشكي » السباك و « عبد النبي البحرة » الحلاق صاحب « صالون البرنسات » و « نجلة » ، « مكوجي الفنون الجميلة » وغير ذلك من الأسماء المتداولة في الأحياء ذات الطابع « البلدي » ...

ولقد وصف تيمور بك المؤلف بأنه كان « رفيقا بالكثير من شخصياته ، لا يدعها سادرة تشرب كأسها حتى الثمالة ، وإنما تدركه بها رحمة فيوقظ ضميرها . ويردها إلى صوابها ، حتى يسدل عليها الستار وقد رضي عنها المجتمع الموقر ، وأنست بها مراسم الأخلاق ! »

ويا ليت الأستاذ نقولا فعل هذا في كل أقاصيصه ، إذن لأرضى المثل العالي الذي ينشده ، بيد أننا نستميحه عذراً إذا زعمنا أنه أطلق لقلمه العنان في بعض الصور التي نشرها على الناس ، فانزلق انزلاقا يسيراً كما في قصة « الغارة الجوية » . ولكن مؤلفنا رجل حصيف رزين ، فلا يكاد قارئه يأخذه البهر ، ويحتقن وجهه خوفا على « البطل » حتى يرده إلى سواء السبيل ، ويأخذ بيده من هوة كاد يتردى فيها ، فإذا هو في طريق الأمان .

وإذ غضضنا الطرف عن هفوات يسيرة في « دنيا الناس » كان لنا أن نقول مع تيمور بك « مصرية هذه الأقاصيص بموضوعاتها مصرية بشخصياتها ، مصرية بما تناولت من التعبير عن أهواء النفوس ، وما أبانت عنه من مزاولة تجارب الحياة ... ولكن المصرية في هذه الأقاصيص تتمثل على أرقى ما تكون في تلك الروح المرحة النقادة التي تبرأ من التكلف والتعقيد ، وفي ذلك الحديث الفكه الذي يحسنه ظرفاء المصريين في مجالس السمر ، يتبادلون المؤانسة والإمتاع » .

منصور جاب الله

هـــذا هو الاسلام

تأليف الأستاذ محمد عبد القادر العماوي

الاستاذ عبد المتعال الصعيدي

الكاتب الأديب الأستاذ محمد عبد القادر العماوي من شبابنا المثقف ثقافة ممتازة . وقد اتجه في كتابه هذا اتجاهات جديدة فبعد أن قدم لنا كتابه (أيامي وفلسفة الحياة) . (ومحاكمة الزمن أو طه حسين) (وهل أفلست حضـــــارة أوربا) (ولا أومن بالعقل) . (والبعث أو مذهب السلام) وكتاب سادس آخر هو (مع عقلاء الإنس ومجانين الجن) بعد كل هذه الكتب التي اعتزت بها المكتبة العربية أخرج لنا هذا الكتاب بمدغيبة طويلة وأتى فيه بنظريات دينية جديدة . فاستعرض أولا الثورات الفكرية ولماذا كانت توجه ضد الدين ، ثم حمل رجال الدين المسئولية في ذلك فقال (إن الذي يتحمل المسئولية وتنصب عليه كل التبعات في الانقلاب على الدين ومحاولة محوه من الوجود ووصفه بكل هذه الصفات كما رأيت ، إنما هم رجال الدين أنفسهم لأنهم لم يحاولوا أن يفسروا الدين بعقلية حرة تجديدية وعلى ضوء نظام التطور والارتقاء) . ثم يلي ذلك فصل آخر هو (هل الدين لازم للبشر) وفيه تأريخ لتطور العقيدة الإلهية ، نشأتها وبواعثها عند الإنسان الأول والمؤثرات التي أثرت فيها ثم تكلم عن